حكمة في قصّة

حضر حكيمٌ إلى مجلس إمام المسجد وكان عنده ضيوف فأحضر الإمام تمراً وطلب من الحكيم أن يقسمه بين الحضور فقال الحكيم لإمام المسجد أأقسمه كقسمةِ الناسِ أم كقسمةِ الله ؟! فقال له الإمام : اقسمه كقسمةِ الناسِ.

فأخذ الحكيم طبق التمر وأعطى كل واحدٍ من الحضور ثلاث تمرات ووضع بقية الطبق أمام الإمام ، عندها قال الإمام للحكيم الآن : اقسمه كقسمة الله !

فجمع الحكيم التمر ؛ وأعطى الأول تمرة والثاني حفنة والثالث لا شيء والرابع ملأ حِجره !

فضحك الحاضرون من فعلته هذه وعلموا أن لديه حكمة يرغب في إيصالها إليهم

لقد أراد الحكيم أن يقول لهم إن لله حكمة في كل شيء وإن أجمل ما في الحياة التفاوت فلو أعطى الناس كلهم المال لم يعد له قيمة.

ولو أُعطوا كلهم الصحة ما كان للصحة قيمة ، ولو أعطوا كلهم العلم ما كان للعلم قيمة.

لذا فَسِرُّ الحياةِ أن يُكمِّل الناس بعضهم بعضاً ؛ وأن لله حكمة لا ندركها بعقولنا القاصرة ؛ فحين يعطي الله المال له حكمة ؛ وحين يمسكه له حكمةٍ ؛ وأنه ليس علينا أن نشتكي الله كما نشتكي أفعال بعضنا بعضا إذا حُرمنا من أي شيء ؛

لأن الله سبحانه وتعالى إذا أعطانا فقد أعطانا ما هو له وما هو مقدّر لنا ؛ وإذا حرمنا فقد حرمنا مما ليس لنا أساسا.

ولو نظرنا إلى الحياة لوجدناها غير متساوية لهذا نعتقد أن فيها إجحافاً ولكن هنالك مبدأ أسمى من المساواة ؛ هو العدل ؛

والله عادل ؛ لهذا وزع الأرزاق بالعدل لا بالمساواة ؛ لأن المساواة تحمل في طياتها إجحافا أحيانا ومن أعطي المال فنحن لا نعرف ما الذي أخِذَ منه في المقابل.

ولنكن على يقين أن الله لو كشف لنا حُجب الغيب ما اخترنا لأنفسنا إلا ما اختاره سبحانه وتعالى لنا ؛ ولجهلنا فإننا ننظر إلى الدنيا وكأنها كل شيء وأنها المحطة الأخيرة لنيل النصيب والرزق .

ولكن هناك آخرة ستأتي لامحالة ؛ وسنرى كيف تتحقق العدالة المطلقة ؛ وأن العطاء الحقيقي هناك ؛ والحرمان الحقيقي هناك.

من هنا لابد لنا أن نعرف أن المال لم يكن يوماً معياراً لحب الله للعبد فقد أعطى المال والملك لمن أبغضهم وأحبهم ؛ ولكنه لم يعطِ الهداية إلا لمن أحبّ ؛ ولو كان المال دليلا على محبة الله للناس لما ملك قارون تلك الأموال الضخمة في الأرض؛ ولما ملك الكفار من أباطرة المال والأعمال في زماننا هذا تلك الشركات العملاقة والعقارات الفخمة والممتلكات التي تدر مليارات الدولارات ؛ وقد تكون تلك الأموال الطائلة بيد العصاة فتنة وابتلاء كما في قوله تعالى : ﴿وَاعْلَمُوْا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيْمٌ(٢٨)﴾[1].

وكما أن الثروة بيد الإنسان ليست دليلاً على صلاحه واستقامته ورضى الله عنه؛ فكذلك ما يصيب كثيرا من الناس من فقر وعوز ليس دليلا على بغض الله لهم ولا على فساد دينهم وسلوكهم .

---

(١) سورة الأنفال .